على خداع الحاضر» (الغربة: ص: 23). إن آراء عمر هي بالتأكيد وجه معتدل من وجوه الإديولوجية الاستعمارية ـ كما تم تصورها في الرواية ـ تلك التي ترى في القتل الذي يمارسه الاستعمار قصاصاً وفي النضال الفدائي إرهاباً، وليس غريباً أن يكون يوليوس أستاذاً لعمر فقد كان يَحْضُر جلساته كثيراً ويستمع إلى بعض آرائه حول الفداء الذي كان يمارسه الوطنيون.

يقول معلقاً على حادث اغتيال صاحب عربة الليمون ـ وكان خائناً لمواطنيه:

«إن الحرية لا تُحمى بالجور. . . إن الحق لا يُدَعَّمُ بالباطل» (الغربة: ص: 54).

هذا ما يتعلق بأنماط الإديولوجيا الموجودة في الرواية أما الرواية كإديولوجيا، فتتولد من خلال الصراع نفسه الذي دار بين تلك الأنماط وقد تم ذلك على مستويين.

ـ صراع رئيسي.
ـ وصراع ثانوي.

فالصراع الرئيسي ينحصر في جانبين رئيسيين متناقضين:

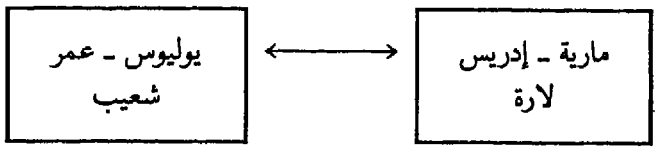

الجانب الأول　　الجانب الثاني

شخصيات الجانب الأول تمثل القيم الجديدة، وشخصيات الجانب الثاني تمثل القيم السلبية أو البالية.

أما الصراع الثانوي فيقع بين شخصيات الجانب الأول فقط، وهو صراع لا يؤدي إلى تناقض تام كما هو الشأن بالنسبة للصراع الرئيسي، ولكن إلى تعارضٍ نسبي في المواقف، ذلك أن موقف الشخصيات الثلاث (مارية ـ ادريس ـ لارة) يبدو موحداً عندما يتعلق الأمر بشخصيات الجانب الثاني، ولكن إدريس ينفرد برأيه حول قضايا أخرى، وخاصة تجاه مارية الفتاة المغربية التي أحبها، ونَزْعَتُهُ المحافظة الأخلاقية جعلته يعرف أن الطريق الذي تمشي فيه مارية طريقٌ وَعْر[62]. وهناك تعارض آخر له أهميته في تحديد إديولوجيا الكاتب وهو أيضاً قائم بين ماريا، وإدريس؛ ففي الوقت الذي يؤمن فيه إدريس بأفكار ماريا المشروحة في

(62) انظر ما قاله ادريس بهذا الصدد عندما تَحَدَّتْهُ ماريا فخلعت أثوابها وبقيت في تمام عُريها على الشاطىء. الغربة، ص 67.